﴿يُضَٰعَفۡ لَهُ ٱلۡعَذَابُ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَيَخۡلُدۡ فِيهِۦ مُهَانًا ٦٩﴾ [الفرقان: 69]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قَبْلَها:

زيـادةُ التّهديد بتفصيلِ الوعيد

لـمّا ذكر في الآية السّابقة الوعيدَ بلقاء الآثام لمن أتى شيئًا منَ القبائح الثّلاثة منَ الشّرك والقتل والزّنا، ذكر في هذه الآية تفسيرَ الآثام وتفصيلَ العذاب ومآلَه.

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿يُضَٰعَفۡ﴾: (ضعف) أصلان متباينان، يدلّ أحدُهما على خلاف القوّة، ويدلّ الثّاني على أن يُزاد الشّيء مثلَه، وهو المقصودُ في هذه الآية، قال الخليل: أضْعَفْتُ الشّيء إضعافًا، وضَعَّفته تضعيفًا، وضاعفته مضاعفةً، وهو أن يُزاد على أصل الشّيء، فيجعلَ مثْلين أو أكثرَ[1]، وهو عند العرب أيضًا المِثلُ إلى ما زادَ، وليس مقصورًا على المثلين، وضِعْفُ الشّيء مِثْلُهُ، وضِعفاهُ مِثْلاهُ، وأضعافُهُ أمثالُهُ[2]، فأصل معناه: هو أن يُزادَ الشَّيءُ مِثْلَه[3].

2) ﴿وَيَخۡلُدۡ﴾: (خلد) أصلٌ واحدٌ يدلّ على الثّبات والملازمة، فيقال: خَلَدَ، أي: أقامَ، وأَخلَدَ أيضًا، ومنه جَنَّةُ الخلدِ، ويقال أخلَدَ إلى الأرضِ إذا لصق بها[4]، وقال تعالى: ﴿۞وَيَطُوفُ عَلَيۡهِمۡ وِلۡدَٰنٞ مُّخَلَّدُونَ﴾ [الإنسان: 19]، من الخُلد، وهو البقاء، أي: لا يموتون، وكلُّ ما يتباطأ عنه التّغييرُ والفساد تصفه العرب بالخلود، والخلودُ في الجنّة أوِ النّار: بقاءُ الأشياء على الحالة الّتي هي عليها من غير اعتراض الفساد[5].

(1) الخليل، العين، وابن فارس، مقاييس اللغة: (ضعف).
(2) ابن فارس، مقاييس اللغة: (ضعف).
(3) ابن منظور، لسان العرب، والزّبيدي، تاج العروس: (ضعف).
(4) ابن فارس، مقاييس اللغة: (خلد).
(5) الراغب، المفردات: (خلد).

3) ﴿مُهَانًا﴾: (هان) أصله هان يهون هَوْنا، ويدور على معنيين متضادّين بحسب سياق المدح أو الذّمّ، فيكون مدحًا بمعنى: السّكينة والوقار، نحو قوله تعالى: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنٗا﴾ [الفرقان: 63]، ويكون ذمّا بمعنى: هوان الشّيء الحقيرِ الهيّن الّذي لا كرامةَ له، ومنه: أهنت فلانا وتهاونت به واستهنت به[1]، ويوصف بها من نُزعت منه كرامتُه[2]، والذي في القرآن من التركيب بعضُه من الإهانة ومنها (يُهن)، و(هون) و(مُهين)، و(مُهان)، وسائره من (الهَوْن) بمعنى اللّين واليسر والسّهولة[3].

❁ المَعْنَى الإِجْماليُّ:

يخبر ربّنا سبحانه أنّه من يفعلْ شيئًا من الكبائر الموصوفةِ يَلْقَ في الآخرة عقابًا فيُضاعَف له العذابُ يوم القيامة، ويَخْلُدْ فيه ذليلًا حقيرًا، والوعيد بالخلود لمن فعلها كلَّها، أو لمن أشرك بالله[4].

تهديدُ أصحابِ الكبائرِ بمضاعفة العذابِ والخلودِ فيه

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغيُّ:

سرُّ فصل جملةِ ﴿يُضَٰعَفۡ﴾ عمّا قبلها:

فُصل قَوْله تَعالى: ﴿يُضَٰعَفۡ لَهُ ٱلۡعَذَابُ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾ عن الجملة السّابقة وهي قولُه تعالى: ﴿وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ يَلۡقَ أَثَامٗا﴾ لوجود كمال الاتّصال بينهما، وهو اتّحادُ الجملتين اتّحادًا تامًّا وامتزاجًا معنويًّا، بحيث تنزّل الثّانيةُ منَ الأولى منزلةَ نفسها[5]، فقد وقعت جُملةُ ﴿يُضَٰعَفۡ لَهُ ٱلۡعَذَابُ﴾ بدلًا من جملة ﴿يَلۡقَ﴾ لاتّحادِهما في المعنى كقوله:

متى تَأْتِنا تُلْمِم بِنا فِي دِيارِنا *** تَجِدْ حَطَبًا جَزْلًا ونارًا تَأَجَّجا[6]

إبدالُ مضاعفةِ العذاب منَ التّوعّد بالعقاب

(1) القرطبي، جامع البيان: 541/ 11.
(2) الأزهري، تهذيب اللغة، والرّاغب، المفردات: (هان).
(3) جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (هون).
(4) نخبة منَ العلماء، التّفسير الميسّر، ص: 366.
(5) القزويني، الإيضاح: 3/ 108.
(6) البيت لعبيد الله بن الحر كما في البغدادي، خزانة الأدب: 9/ 90، والرماني، شرح كتاب سيبويه، ص: 1011، 1019، وابن جني، سرّ صناعة الإعراب: 2/ 317، والزمخشري، المفصل في صناعة الإعراب، ص: 335، والكشاف، 3/ 294.

بلاغةُ التّعبير بالفعل ﴿يُضَٰعَفۡ﴾:

الـجـزاءُ من جنس العمل نوعًا وكيفًا

أوثر في قَوْله تَعالى: ﴿يُضَٰعَفۡ لَهُ ٱلۡعَذَابُ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾ التّعبيرُ بالفعل ﴿يُضَٰعَفۡ﴾ في حقّ أصحاب الكبائر منَ الشّرك والقتل والزّنا للدّلالة على أنّهم أكثرُ النّاس عذابًا يوم القيامة؛ لأنّ جرائمهم الثّلاثَ تلك من أعظم الجرائم، فإذا عُذِّبَ غيرُهم من المعذَّبين بألوان من العذاب، فإنّ ما يلقاه هؤلاء، أضعافُ ما يلقاه المعذَّبون من أهل النّار غيرِهم[1]، ويحتمل أيضًا أنّ معنى مضاعفة العذاب إتيانُ بعضِه في أثر بعض بلا انقطاع كما كان يضاعف سيّئته كذلك، حتّى إنّه ليبدو لدى المعاقب، كأنّه مضاعف للذّنب، وإنّ المُذنب دائما يحسّ بالجزاء كأنّه أكثرُ من الذّنب، فالله تعالى يصوّر له العقابَ كأنّه مضاعف، ولأنّه يتجدّد آنًا بعد آنٍ، كلّما نضجت جلودهم بدّلهم الله تعالى جلودًا غيرَها، فهو عذاب بعد عذاب، وبهذا التّكرار الدّائم يكون كأنّه مضاعف، وإنّه عذابٌ دائم مستمرٌّ[2].

بلاغةُ القراءات في الآية:

مناسبةُ التّشديد لمضاعفةِ العذاب وزيادةِ الوعيد

تنوّعتِ القراءات في قوله تعالى ﴿يُضَٰعَفۡ لَهُ ٱلۡعَذَابُ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَيَخۡلُدۡ فِيهِۦ مُهَانًا﴾، فقد قرأ ابنُ عامر برفع الفاء والدّال مع تشديد العين ﴿يُضَعَّفُ﴾ ﴿وَيَخۡلُدُ﴾، وقرأ أبو جعفر وابنُ كثير ويعقوبُ ﴿يُضَعَّفۡ﴾ ﴿وَيَخۡلُدۡ﴾، بالتشديد والجزم فيهما، وقرأ أبو بكر شعبة: ﴿يُضَٰعَفُ﴾ ﴿وَيَخۡلُدُ﴾ بالرفع فيهما، وقرأ الباقون: ﴿يُضَٰعَفۡ﴾، ﴿وَيَخۡلُدۡ﴾ بألف بعد الضّاد، والجزم فيهما[3]، والحجّة لمن رفع: أنّه لما اكتفى الشّرطُ بجوابه كان ما أتى بعده مستأنفًا فرفعه، والحجّة لمن جزم أنّه لمّا اتّصل بعضُ الكلام ببعض جُعِل ﴿يُضَٰعَفۡ﴾ بدلًا

(1) الخطيب، التفسير القرآني للقرآن، 10/ 58.
(2) البقاعيّ، نظم الدّرر: 13/ 427، وأبو زهرة، زهرة التفاسير: 10/ 5318.
(3) ابن الجزري، النشر: 2/ 334.

من قوله: ﴿يَلْقَ﴾ فجَزَمَه، ورددتَّ عليه ﴿وَيَخْلُدْ﴾ بالجزم عطفا بالواو[1]، والحجّة لمن خفّف: أنّ ﴿يُضَٰعَفْ﴾ أكثرُ من ﴿يُضَعَّفْ﴾، والحجّة لمن شدّد: التّكريرُ ومداومةُ الفعل[2].

سرُّ تقديم شبهِ الجملة ﴿لَهُ﴾ على الفاعل:

تقدّم في قوله تعالى: ﴿يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ﴾ شبهُ الجملة ﴿لَهُ﴾ على الفاعل ﴿ٱلْعَذَابُ﴾ لنكتة الاختصاص، بمعنى قصْرِ مضاعفة العذاب على من أتى شيئًا من هذه الذّنوب العظيمة والقبائح المنكرةِ دون غيره من أصحاب الذّنوب الأخرى الّتي هي أقلُّ جُرمًا منها.

اختصاصُ أصحاب الشّركِ والكبائر بمضاعفة العذابِ والخلودِ فيه

توجيهُ تعريف العذاب:

جاء لفظُ ﴿ٱلْعَذَابُ﴾ في قوله تعالى ﴿يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ﴾ معرّفًا بـ (أل) الدّالّة على تعريف العهد، فقد تقدّم في كثير منَ الآيات، وصار معهودًا عند المسلمين أنّ العذابَ المقصود في لسان الشّرع هو عذابُ نارِ جهنّم والعياذُ بالله، نحو قوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ أَفَأَنتَ تُنقِذُ مَن فِى ٱلنَّارِ ﴿١٩﴾﴾ [الزمر: 19].

شيوعُ لفظِ العذاب في نار جهنّم وبئسَ المصير

علّةُ التّقييد بـ ﴿يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾:

أوثر في قوله تعالى ﴿يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ تقييدُ مضاعفة العذاب بالظّرف ﴿يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ لغرض تهويلِ عذاب أصحاب الكبائر المذكورة وزجرًا عنِ اقترافها، فـ ﴿يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ أهولُ من غيره من الأيّام بما لا يقايسُ، وعذابُه أفظعُ من عذاب الدّنيا بما لا يقارنُ[3].

تهويلُ مضاعفةِ العذاب بكونها في يوم الحساب

دلالةُ العطف بالواو في الآية:

عُطفت الجملة في قوله تعالى: ﴿وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا﴾ على الجملة

المبالغةُ في الوعيد بالجمع بين مضاعفةِ العذاب والتّخليدِ

(1) ابن خالويه، الحجّة، ص: 266.
(2) ابن خالويه، الحجّة، ص: 98.
(3) البقاعيّ، نظم الدّرر: 13/ 427.

قبلها: ﴿يُضَٰعَفۡ لَهُ ٱلۡعَذَابُ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾ بحرف الواو الدّالّ على الجمع والاقتران؛ إذ يجمعُ لأصحاب الكبائر الثلاثة المذكورةِ بين مضاعفة العذابِ والتّخليدِ في النّار مع التّحقير والإهانةِ مبالغةً في الزّجر عنِ ارتكابها.

إيثارُ لفظ (يخلد) صيغةً ودلالةً:

المكثُ الطّويلُ أوّلُ درجات الخلودِ في النّار وبئسَ المصيرُ

أوثر في قوله تعالى: ﴿وَيَخۡلُدۡ فِيهِۦ مُهَانًا﴾ صيغةُ المضارع في الفعل (يخلد) للدّلالة على الاستقبال، إذ محلُّه يوم القيامة، كما يدلّ المضارعُ على الدّوام، فهُدّد أصحابُ الكبائر بالخلود الّذي هو أوّلُ درجاته أن يكون مكثًا طويلًا مستمرًّا مع مهانته الشّديدة الواضحةِ الدّائمة المستمرّةِ، وكذلك يستبدلُ اللّه بغطرستهم الجاهليّة، واعتزازِهم الظّالم العاتي مهانةً دائمةً مستمرّة[1]، ومعنى الخُلد والخلودِ اللّصوقُ بالأرض في ذلّة ومهانة[2].

سرُّ تقديم شبْهِ الجملة (فيه):

زيادةُ الحسرة والنّدامةِ بمعرفة مكان الخلودِ والإقامةِ

تقدّم في قوله تعالى ﴿وَيَخۡلُدۡ فِيهِۦ مُهَانًا﴾ شبهُ الجملة ﴿فِيهِۦ﴾ على الحال ﴿مُهَانًا﴾ لنكتة الاهتمام بمحلّ الخلود ومكانِه، وهو الخلودُ في عذاب جهنّم والعياذُ باللّه، فالضّميرُ في ﴿فِيهِۦ﴾ يعودُ إلى العذاب الّذي لا يُخرج منه، بل يعيش فيه مستكينًا، ضارعًا، ذليلًا، مهينًا[3].

بيانُ التّعبير بالحال ﴿مُهَانًا﴾ دلالةً وصيغةً:

الزّيادةُ في التّقريع بالإهانة مع العذاب الفظيعِ

عُبّر في قوله تعالى ﴿وَيَخۡلُدۡ فِيهِۦ مُهَانًا﴾ بالحال ﴿مُهَانًا﴾ والقصدُ منها تشنيعُ حال المُتوَعَّد في الآخرة، أي يُعذَّبُ ويُهانُ إهانةً زائدةً على إهانة التّعذيب بأن يُشْتَم ويُحَقَّرَ[4] أو أنْ يكون الغرضُ من الحال

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 13/ 427، وأبو زهرة، زهرة التفاسير: 10/ 5318.
(2) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 6/ 230، والخطيب، التفسير القرآني للقرآن: 10/ 58.
(3) الخطيب، التفسير القرآني للقرآن: 10/ 58.
(4) البقاعيّ، نظم الدّرر: 13/ 425، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 19/ 72.

الاحترازَ عمّا يجوز من أنّ بعض عصاة هذه الأمّة - الّذين يريد الله تعذيبَهم - يعلمون أنّهم يُنَجَّوْنَ ويُدخَلونَ الجنَّة، فتكونُ إقامتُهم - مع العلم بالمآل - ليسَت على وجه الإهانَةِ[1]، إضافةً إلى أنّ مجيء هذا اللّفظ على وزن اسم المفعولِ دالٌّ على وقوع فعل الإهانة عليه زيادةً على التّعذيب.

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

العذاب، والعقاب، والحساب:

عـمـومُ العـذاب واخـتـصـاصُ العقاب بالجزاء عن ذنب

يظهر الفرقُ بين: (العذاب)، و(العقاب)، و(الحساب) أنّ (العذاب) و(العقاب) مترتّبان عن (الحساب)، و(الحساب) هو عدُّ الشّيء، والله سريعُ الحساب بمعنى: هو مُحْصٍ أعمالَ عبادِه، وسريعُ المجازاة على الأعمال، فلا يحتاج إلى عدّ ولا إحصاء[2].

أمّا العقاب فهو يقتضي بظاهره الجزاءَ على فعلِه المعاقَب؛ لأنّه من التّعقيب والمعاقَبة، وأصلُ العقاب التّلْوُ، وهو تأديَةُ الأوّلِ إلى الثّاني، يقال عَقِبَ الثّاني الأوّلَ إذا تلاه، وعَقِبَ اللّيلُ النَّهارَ، واللّيل والنّهار هما عقيبان، ويرتبط العِقابُ بالذَّنبِ، فإذا عَظُم الذَّنْبِ عَظُمتِ العقوبة، وإذا صَغُر كان العقاب على قدره، ويوضّح ذلك بجلاء قولُ الله تعالى: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُواْ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ﴾ [النحل: 126]، فيأمر الله المؤمنين بأن لا يزيدوا عمّا فعلوه بهم[3].

أمّا العذاب فليس كذلك، فقد يكون نتيجةَ ذنب مرتَكِبٍ، وقد لا يكون نتيجةً عن ذنب؛ إذ يُقال للظّالم المبتدئ بالظّلم إنّه مُعَذِّبٌ، وليس لذنب وإنّما لمجرّد التَشَهّي أو غير ذلك، فبينهما

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 13/ 427.
(2) ابن جرير، جامع البيان، 6/ 279، والقرطبي، الجامع: 2/ 435.
(3) نخبة منَ العلماء، التّفسير الميسّر، ص: 281.

عمومٌ وخصوص[1]، وهذا الفرقُ يستقيمُ في (عذاب) البشر، أما في (عذاب) اللّه، فلا يكون (عذابه) سبحانه إلّا عنِ استحقاق ذنبٍ مرتَكبٍ.

وقد أوثر في الآية لفظُ (العذاب) لأنّه نتيجةُ الكبائر المرتكبةِ من الشّرك والقتل، والزّنا.

الإهانة، والاحتقار، والإذلال، والازدراء:

الإهـانـةُ نتيجةُ الإذلال في الجهر والإعلان

الفرقُ بين الإذلال والإهانة: أنّ إذلال الرّجل للرّجل هنا أن يجعلَه منقادًا على الكُره أو في حكم المنقاد، والإهانةُ أن يجعله صغيرَ الأمر لا يبالي به، والشّاهد قولك: استهان به، أي لم يبالِ به ولم يلتفت إليه، والإذلالُ لا يكونُ إلّا منَ الأعلى للأدنى، والاستهانةُ تكون منَ النّظير للنّظير.

ونقيضُ الإذلال الإعزازُ، ونقيض الإهانة الإكرامُ، فليس أحدُهما من الآخر في شيء، إلّا أنّه لمّا كان الذّلّ يتبعُ الهوانَ: سُمّيَ الهوانُ ذلّا، وإذلال الرجل لغيره: غلبتُه له على وجه يظهر ويشتهر، ألا ترى أنّه إذا غلبه في خلوة لم يقل إنّه أذلّه، ويجوز أن يقال إنّ إهانة الرّجل صاحبَه هو تعريف الغير أنّه غيرُ مستصعب عليه، وإذلاله غلبتُه عليه لا غير، ونقيضُ الإهانة الإكرامُ، فكما لا يكون الإكرام منَ اللّه إلّا ثوابًا فكذلك لا تكون الإهانة إلّا عقابًا، والهوانُ نقيض الكرامة، والإهانةُ لا تقع إلّا عقوبةً، والذّلّة الضّعفُ عن المقاومة ونقيضُها العزّة وهي القوّة على الغلبة، ومنه الذّلولُ وهو المقودُ من غير صعوبة؛ لأنّه ينقاد انقيادَ الضّعيف عن المقاومة، وأمّا الذّليلُ فإنّه ينقاد على مشقّة[2]، والاحتقار أصلٌ واحدٌ، استصغارُ الشّيء،

(1) العسكريُّ، الفروق اللُّغويَّة، ص: 365.
(2) العسكريُّ، الفروق اللُّغويَّة، ص: 365.

يقال شيء حقيرٌ، أي صغير[1]، والازدراء أصله (زرى) وهو يدلّ على احتقار الشّيء والتّهاون به، يقال: زَرَيْتُ عليه، إذا عِبْتُ عليه، وأزريت به: قَصَّرْتُ به[2].

وقد أوثر في الآية لفظُ (الإهانة)؛ لأنّه متعلّق بعذاب جهنّمَ، وهو أعظمُ عقوبةٍ يفتضح فيها أصحابُ الكبائر، والعياذُ باللّه.

(1) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (حقر).
(2) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (حقر).

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثامن والثلاثون،
سورة الفُرقَان من الآية 43 إلى سورة الشُّعَراء الآية 95
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الثامن والثلاثون، سورة الفُرقَان من الآية 43 إلى سورة الشُّعَراء الآية 95
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 38 ، 808 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-732-80-8
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 38 : المجلد الثامن والثلاثون، سورة الفُرقَان من الآية 43 إلى سورة الشُّعَراء الآية 95.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-732-80-8
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-5248773 بتاريخ 2024/11/26م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»